

م خ ت ارات

خشخاش وذاكرة

باول تسيلان*

نستطيع أن نحیی في شخص باول تسيلان، المولود عام ١٩٢٠ في بوكوفينا، شاعراً جديداً ألماني اللغة، لم يكن نتاجه إلا شعراً. فالديوان الصغير «خشخاش وذاكرة» يملك نبرة لا يمكن نسيانها أبداً. إنه يبقى عالقاً في الذاكرة لأن اللغة طازجة وصافية وأشبه بالأغنية. بماذا تذكّر؟ بنموّ شاب، بنفخ الزجاج، بفضة تضرب بكريستال. ورغم أن تسيلان يدمج بعض عناصر الشعر السورالية، لكن الذي يبحث عنه يبقى هو شكل القصيدة الجميل.

على المرء، في خضم هذا الزحام الذي نعيشه، الزحام المتكون من أسماء وأشياء، سياسة، رياضة وتشتت، أن يرجو ويدعو لحظة للإنتباه: فهذا شاعر لا يحتاج لاستخدام هذه الأشياء. هنا جاء أحد استطاع أن يحسّ كم هي الحياة حلوة، وكم هي مرّة. وهذا الواحد اسمه باول تسيلان ويكتب أبياتاً كهذه: «زورق في السنابل قلبك، نحن نجذفه باتجاه الليل»، وأخرى كهذه: «كنا موتى واستطعنا التنفس» وهذه «الحمامة الأكثر بياضاً طارت: أستطيع أن أحبك».

جاءت هذه الأبيات عرضاً وبلا اختيار منظم. لقد أمضيت أمسية لكي أقرأها بصوت عال. منذ زمن طويل لم أقرأ قصائد بصوت عال. لكن من هذه الأبيات يأتي الإفتتان. لتسيلان ملامح سورالية. هذا مؤكد: فهنا الزورق في السنابل، الميت المتنفس، هنا في «تسلسل الموت» بقية ما هو مادي، الإيقاع الأحاذ، الإستعارة الرومانتيكية، الكيمياء الشعرية: «شعرك الرمادي سوليميت، نحن نحفر قبراً في الأعلى حيث يتمدد المرء في

سعة». لكن هناك شيء آخر، كما أعتقد، هناك عنصر يضاف إليها: وهو تجربة مشبعة بـ «الزن» البوذية التي يستطيع أن يجدها المرء بعد الحرب (الثانية) لدى ف.أ. أشمان (رسائل من تسين) حيث يكون الإدراك الداخلي للأشياء بمستويات ثلاثة: حجر هو الحجر، حجر هو بوذا، حجر هو حجر.

وهو عند تسيلان لا يُدعى حجر، إنما له كلمات قلب أخرى: شَعْر، رمل، عين، زمن، ضوء ريح، جبهة، فم. لكن يبدو أن إدراك لب الموضوع، يسبق دوماً إلغاء الموضوع، إنه إلغاء للإحياء الثاني في فضاء القول الشعري الجميل. ومثل كل الشعر الذي تكون مواضيعه الرئيسية هي الحب، الزمن والموت، تحملُ قصيدة تسيلان أيضاً مفاهيم متضادة: المرارة والحلاوة، الفظاعة واللطافة. وكلُّ واحدة من هذه المتضادات يمكن أن تختلط بالأخرى. بؤر المتضادات المضمرة تستطيع أن تلتقي في مركز الدائرة: وهذه هي متطلبات القصيدة الكاملة. فحالما توجد مقطوعتان، ثلاث أو خمس وعشرون مقطوعة لكاتب ما، حتى يرفع الشرط وسيكون تحصيله الحقيقي الطريق اللانهائي بين المتناقضات المتحركة والمفتوحة بشكل دائم.

لكن هذه أمور نظرية فقط. وتستطيع بشكلها المطبق أن ترينا، في ما إذا كان نبضها يخفق. تسيلان يكتب: الطفل «صعد من المد، عندما نصبت خيمة على الكتيب، سلّ سكين السعادة بعيون مطفأة علينا». تعني «سكين السعادة» هنا، المرارة والحلاوة، ألم وعطاء قريبان قدر الإمكان من بعضهما البعض ومنفصلان أكثر من أي وقت كان. أيضاً موضوعه إليوت عن الغرق في «الأرض الخراب» لم تكن تملك هذه الكثافة من الربط المسرحي. رغم أن سكين السعادة في قصيدة تسيلان الدقيق استعارة طائشة ملقاة على عواهنها إلى حدّ ما.

شفرات تسيلان هن بهارات ناعمة في وجبات راقية. لو كان الناقد يستعمل قراءات سابقة، لأجل إثبات السمات أو كان المرء يستطيع أن يفترض خطوطاً ويعرض أصولاً، إذاً لكان تسيلان هو جيورج تراكل، لكن بلا كآبة (موضوعة الأخت)، لوركا بلا أمومة: كرولوف بلا Natura Naturans غوتفريد بن، بلا كلمة أجنبية، «سوريالي» مُسيطر على اندفاعه ومتنازل عن النص الأوتوماتيكي. وإذا أراد المرء أن يرجع إلى الوراثة أكثر، يستطيع أن يسمي تسيلان، مارسيل بروس شاعراً. لقد قرأ تسيلان. قرأ جيداً وتعلّم، إذ أنه قرأ بمقدرة عبقريته الشعرية المشرقة. على المرء أن يدرك هذا الإلتقاء، وأن يدرك التنازل المقصود، لكي يستوعب، كم هو ذكي تكتيكيه وكم هي جميلة تركيباته.

على سبيل المثال، موضوعه الزمن: التي هي سمة القرن العشرين بكامله (والقرن السابع عشر) من الجبل السحري، مروراً بهایدغر (١٩٢٧) حتى إليوت، أودن،

هولتهوزن. إن تسيلان يحزّر الواجهات من كونها مادة محسوسة، أريد أن أقول: أنه يعمل على تحويل الأشياء. هكذا هو الزمن وليس تاريخ الزمن، ليس حقيقة معاصرة، ملموسة ومرمية بقسوة، وإنما هو رمل ساعة الرمل، رمل طائرٌ، شعرٌ هاب على جبهة أبدية، تلاطم أمواج تتلاشى. ففي أضعف قصيدة من المجموعة، تقف ثلاثة أبيات رائعة بخصوص الزمن:

«نلذ لكم

نبرةً ولا ضوء

يندس بيننا، ليقوله».

وفي موضع آخر: «أنت، ساعة تجنحين في الكئيبان. الزمن، من رمل ناعم، يغني بين ذراعي». عندما يزيد تسيلان من البهار، فإنه سيكون هكذا: «من ربيع إلى ربيع يرغي النبيذ هنا، هكذا قصيرة هي السنة». فصول السنة ممددة كالحجاب الشفاف فوق هذه المقطوعات «الرهبان فتحوا الكتاب بأصابع مشعرة: أيلول. ياسون يرمي الآن البذرة النابتة ثلجاً». وهكذا يمكن القول أن التحييد الشعري للتاريخ، ولما هو تاريخي، يسير في ظل الإيحاء الاسطوري. لا أستطيع أن أكتب بأنها نجحت هنا. فقصيدة تسيلان هي دون كل المقاصد. لا تريد أن تكون إلا نفساً، نبرةً، شكلاً ضوئياً، خفيفة وتقريباً قابلة للغناء.

لكن عندما تقبض اليد في الماء، ينكمش الماء إلى نفسه.

وأمام مقطوعات قصيرة، مقفاة أيضاً، تقف أبيات طويلة بسطور طويلة متذبذبة، أبيات موزونة واسكندرانية مكسرة، حرّة الإيقاع، مرنة، حركية، خفيفة «وضعت لها عيناً في الحزن، وضفرت الأخرى لك في الشعر ودست فتيل الاشتعال بينهما، الوريد المفتوح - وسباحة تقدّم برق شاب». هذه الشعرية الصغيرة والتي هي أبيات محددة ودقيقة.

غنواتٌ أشبه بالحكم، لينة تورق أشجار الحور، مفتوحة للريح، شبحية:

«صمت! تندفع الشوكة أعمق في القلب:

تقف في الباقية مع الوردة».

توجد في كل الكتاب أغنية حقيقية واحدة، طرق مؤدية وممرات جانبية كثيرة. لكن هذه تثبت أشكال الوسط التسيلانية. يستطيع المرء أن يفكر بمقطوعة من ثلاثة مقاطع شبيهة بهذه، تبدأ هكذا:

«إذاً هكذا أصبحت

كما لم أعرفك أبداً».

وتستحضر في داخلها هذا التركيب الحكمي، لكن الحكمي العميق والذي هو على شاكلة

البساطة، اللعبة القديمة جداً، لعبة الحب وتضييع الوقت، الذكرى والنسيان:

«تنزلين في كل الآبار

تحلقين عبر كل لمعان

اخترعت لعبة

تريد أن تكون منسية»

ديوان «خشخاش وذاكرة» يتكون من أربعة أقسام هي: «الرمال في الأوعية»، «تسلسل الموت»، «الضوء المعاكس»، «أعواد الليل»، والعنوان العام مأخوذ من القطعة الأخيرة من القسم الأول، «كورونا»: «نتحاب كخشخاش وذاكرة / ننام مثل النبيذ في المحار / مثل البحر في شعاع القمر الدموي».

تسيلان مصور مرهف، قصائده شبيهة بتلك الأشكال التي يكتبها المرء على رمل البحر، غير بعيدة عن تلاطم الأمواج، لكنني لا أرى الموجة التي تريد أن تمسحها. تسيلان شاعر أكثر من موهوب حقق نفسه من خلال قصائد خمس. وهو سيجد معجبين (ومقلّدين)، لكنه سيغير نفسه ثلاث مرات، وهذا موجود أيضاً وبين في قصائده، وسيتضاعف لثلاث مرات. اليوم، تبدو هذه الأبيات صالحة:

«أنتم خفيفون: تنامون ربيعي حتى النهاية

أنا أخف:

أغني أمام الغرباء».

هلموت دوهاز

رمل الجرار

أغنية في الصحراء

إكليل ضفر من ورقة مُعتمة في ناحية أكرأ:

في تلك الجهات عكست ركض الحصان الأسود وطعنت الموت بالشيش.

أيضاً شربت من طاسات خشبية رماد آبار أكرأ

وبخوذة مغلقة واجهت أنقاض السماوات.

إذ أن الملائكة موتى والرب أعمى في ناحية أكرأ،

ولا أحد يرعى لي، في النوم، الذين مضوا هنا في الهدوء.

القمر دمّر زهيرة ناحية أكرأ:

هكذا يُزهَر الذين يقتدون بالشوك، الأيدي التي بخواتم صدئة.

هكذا عليّ أن أنحني للقبلة أخيراً، حينما يصلّون في أكرّا...
 أه سيء زرد الليل كان، الدم ينزّ خلال المشابك!
 هكذا كنتُ. أخاهم المبتسم، ملك أكرّا الحديدي.
 ما زلتُ أتلقظُ الإسم وأستشعرُ الحريق على الخدود.

ليلاً اسمرّ جسدك من حمى الإله:

فمي يلوخ شعلاً حول خديك.

لا ينبغي أن يُهددَ الذي لم يغنوا له أغنية نوم.

اليّد ملأى بالثلج، ذهبّت إليك،

وغير معروف بقدر إزرقاق عيونك

في مدار الساعات. (كان القمر فيما مضى أكثر استدارة).

المعجزه منتحبه في خيم فارغة،

تجمد إبريق الحلم - ماذا يفيّد؟

تذكري: وريقة سوداء كانت معلقة في البيلسان -

الإشارة الجميلة لكوب الدم.

عبثاً ترسمين قلوباً على النافذة:

دوق الهدوء

يجنّد أسفل في ساحة القلعة جنداً.

ينصب رايته في الشجرة - ورقة، تبدو له زرقاء، حينما يحلّ الخريف؛

عيدان الكأبة يوزعها في الجيش وزهور الوقت؛

بطيور في الشعر يذهب لإغراق السيوف.

عبثاً ترسمين قلوباً على النافذة: إله بين الحشود،

ملفوف بالمعطف، الذي انزلق قديماً من كتفك على السلم، ليلاً،

قديماً، حينما كانت القلعة في اللهب، عندما تكلمت كالبشر: محبوبتي...

وهو لا يعرف المعطف ولم يناد النجمة وتبع تلك الورقة، التي تحلق أمامه.

«يا عود»، توهم أنه يسمع «يا زهرة الوقت».

ماريانا

شغرك بلا ليلك، وجهك من زجاج مرآة.
 الغيمة تمرُّ من عَيْنِ لعين، كسدوم الى بابل:
 كورقة تهْدُ البرج وتُعرِّبُ حول عروق الكبريت!
 عندها يُرجفك برقٌ حولَ فمك - تلك الهوة مع بقايا الكمان.
 وواحدٌ بأسنانٍ ثلجية يقود القوس: آه رنيُّ القصب أجمل!
 حبي، أنت القصبُ أيضاً ونحن كُننا المطرُ؛
 جسّدك نبيدٌ عديمُ النظير، ونحن عشرةٌ تُشربُ:
 قلبك زورقٌ في القمح، نجذّف به باتجاه الليل،
 إبريقٌ لازوردي صغير، هكذا تقفزِين فوقنا بسهولة، ونحن ننامُ...
 يتجمعُ موكبُ المائة أمام الخيمة، ونحن نحملك «متشاربين» الى القبر
 والآن يرنُّ أصعبُ «تالر» للأحلام على بلاطات العالم.

ضوء الودك

الرهبان فتحووا الكتاب بأصابع مشعرة: أيلول.
 ياسون يرمي الآن البذرة النابتة ثلجاً.
 قلادة من الأيدي أعطتك الغابة، هكذا مشيت ميتةً على الحبل.
 أزرق غامق سيصيرُ جزءاً من شعرك، وأنا أتكلّمُ عن الحب.
 محاراً أحكي وسحابةً خفيفة، ومركباً يتبرعمُ تحت المطر.
 مهرٌ صغيرٌ يركضُ فوق الأصابع المورّقة -
 أسود ينفّث الباب، أنا أغني:
 كيفَ عشنا هنا؟
 اليدُ ماأى بالساعات، هكذا جيئت إليّ - أنا تكلمتُ:
 شعرك ليس أسمر.
 هكذا رفّعتَه بخفةٍ على ميزان الأسي، فكان أنقلُ مئي...
 يأتون على سفن إليك ويشحنونه، يطرحونه للبيع في أسواق الرغبة -
 أنت تبسّمين لي من الأعماق، أنا أبكي إليك من القشرة، التي تبقى خفيفة.

أنا أبكي: شعرك ليس أسمر، يعرضون ماء البحر، وأنت تعطينهم خِصلاً...
 أنت تهمسين: يملأون العالم لي، وأبقي
 لك ممراً ضيقاً في القلب!
 أنت تقولين: ضغ أوراق السنوات بجانبك - حان الوقت لكي تأتي وتقبليني!
 أوراق السنوات سمراء، أما شعرك فلا.

نصف ليلة

نصف ليلة. بخناجر الحلم مثبتة في العيون المتألمة.
 لا تصرخ من الألم: كالمناديل ترفرف السحب.
 بساط حريري، هكذا شدت فيما بيننا، لكي يرقص
 من ظلمة الى ظلمة.
 الناي الأسود نحتوه لنا من خشب حي، والراقصة تأتي الآن.
 أصابع مغزولة من ربد البحر تُغطس لنا في العين:
 أئمة عين تريد البكاء هنا؟
 لا. هكذا تدور مغتبطة والطبل الناري يصخب.
 خواتم ترمى إلينا، ونحن نتلقفها بالخناجر.
 أتزوجنا هكذا؟ ترن كالشظايا، وأنا أدري ثانية:
 أنت لم تموتي
 الموت الخبازي اللون.

شعرك فوق البحر

شعرك يتهدل أيضاً فوق البحر، مع العرعر الذهبي.
 معه بييض، ثم ألونه لازوردياً:
 لون المدينة، حيث سحلت آخر مرة باتجاه الجنوب...
 بحبال كئفوني وربطوا بكل حبل شراعاً
 بصقوا علي من أفواه ضبابية وغنوا:
 «آه، تعال، اعبر البحر»
 لكنني لونت لي كزورق، الأجنحة باللون الأرجواني
 وحشرت لنفسي النسمة وأبحرت قبل أن يناموا.

كان عليّ أن ألونها لك بالأحمر، الخصلات، لكني أحبها باللازوردي :
يا عيون المدينة، حيث سقطت وسحلت باتجاه الجنوب!
مع العرعر الذهبي يتهدل شغرك أيضاً فوق البحر.

أيتها الشجرة المرتعشة، ورقئك تنظرُ بيضاء في الظلام
شغراً أمي لن يبيض.

يا زهرة سنّ الأسد، هكذا خضراء هي أوكرانيا.
أمي الشقراء لم تعد إلى البيت.

يا غيمة المطر، هل تترين على الآبار؟
أمي الهادئة تبكي لأجل الجميع.

أيتها النجمة الدائرية، أنت تلفين الربطة الذهبية
قلبك أمي قد جرح من الرصاص!

يا باب البلوط، من رفك من المفصلات؟
أمي الرقيقة لا تستطيع المجيء.

عشب الرماد

حربة الطير المهاجر، لقد طرت فوق الحائط
الغصن فوق القلب كان أبيض والبحر فوقنا،
هضبة الأعماق مورقة بنجوم الظهيرة،
أخضر بلا سموم، كالذي للعين التي فتحتها في الموت...
نجوف الأيدي لكي تغرق السيل الجارف المتسرب :
ماء الأماكن، حيث تعتم ولا يقدم الخنجر لأحد.
أنت غنيت أيضاً أغنية، ونحن جدلنا شبكة في الضباب
ربما يأتي جلاّد وثانية يخفق لنا قلب،
ربما يتدحرج برج علينا، ومشقة ستبني برفقة الصراخ!
ربما شوّهتنا لحيّة وشعرها الأشقر سيحمر..
الغصن فوق القلب كان أبيض والبحر فوقنا.

سر السراخس

في قبو السيوف ينتضي الظلُّ قلباً أخضر كالأوراق.
 لامعة هي النصال : من لا يتريث في الموت واقفاً أمام المرايا؟
 أيضاً تُقدِّمُ هنا الشجاعةُ الحيَّةُ في الأبريق :
 وردية تمتلئ عتمة، قبل أن يشربوها، كأنما هي ليست ماءً
 كأنما هي قطيفةٌ هنا، تسألُ عن الحبِّ الأكثرِ إظلاماً،
 عن وسادةٍ أكثرِ سواداً لأجلِ المبيت، عن شَعْرٍ أكثرِ ثقلاً..؟
 ولكن هنا لا تقلق إلا على لمعانِ السيف
 وإذا لمع شيء ما هنا، فلن يكون إلا السيف.
 نفرغ الإبريق من الطاولة فقط، لأن المرأة تقدمه لنا :
 واحدٌ ينشطر إلى اثنين : حيث نحن حُضْرُ كورقة!

رملُ الجرار

بخضرة العَقْنِ هو بيتُ النسيان.
 أمام كل بابٍ من الأبواب الهاتبة يزرُقُ لاعتك المقطوع الرأس.
 يقرع لك طبلاً من طحلب وشعر عانة مُرّ؛
 بإبهام مُتقنيحة يرسمُ حاجبك على الرَّمَلِ.
 يُخططها أطول مما كانت، وأحمر شفتيك.
 تملأين الجرارَ هنا وتأكلين قلبك.

الراية الأخيرة

أَيْلٌ بلون المياه، يُصطادُ في المناطق المظلمة.
 هكذا اربطي القناع ولو نبي أهدابك بالأخضر.
 تُقدِّمُ القدورَ لك بالجريش الهاجع، على طاولات من الأبنوس :
 من ربيع إلى ربيع يرغى النبيذ هنا، هكذا قصيرة هي السنة،
 وهكذا نارِيٌّ سعرهُ هؤلاء الرماة - وردة الغربية :
 لحيتك الهاتمة، راية القرم.

غيوم ونباح! يسوقون الوهمَ إلى السرخس!

كصيادين يرمون الشباك على السراب وعلى النَّفس!
يلقون حبلاً على التيجان ويدعون للرقص!
ويغسلون القرون في النبع، هكذا يتعلمون النداء.

كثيف، ما اخترته كمعطف، وهل يخفي البارقة؟

يسري كما في النوم حول الجذوع، كأنما يقدمون حلماً.
يرمون القلوبِ عالياً، كرات الوهم الطحلبية :
آه، أيتها الجزة التي بلون الماء، يا رايتنا فوق البرج.

صرير أحذية حديدية في شجرة الكرز.
يرغو لك الصيف من الحُوذ. الوقواق الأسود
يرسم بمهماز ماسي صورته على أبواب السماء.

حاسر الرأس يظهرُ الراكبُ من الأوراق.
يحملُ في الدرع ابتسامتك غسقاً،
مُسَمَّرة في منشفة الأعداء الفولاذية.
قد بُشِّرَ بحدائق الحالمين،
وهو يحملُ حرباً مستعداً حتى تتسلق الوردة...

لكن حافياً يأتي خلال الهواء، الأكثر شبهاً بك :
أحذية حديدية مشدودة بالأيدي الهزيلة،
نائماً ضيِّع المعركة والصيف. ينزفُ لأجله الكرز.

نذكرى إلى فرنسا

فكّري معي: سماء باريس، السّرُنجان الكبير...
اشترينا قلوباً من بائعات الورد.
كنّ زرقاً وتفتحنّ في الماء.
بدأت تمطرُ في عنبرنا،
وجارنا جاء، مسيو لوسونج* «زلمة» نحيف.
لعبنا ورقاً، ضيّعتُ أنا قرّة العين

أعرتيني شعرك، ضيَعته، هزَمنا !
 خرج من الباب، تبعه المطر.
 كنا موتى واستطعنا التنفس.

* بالفرنسية في الأصل: Monsieur Le Songe

أغنية سيدة في الظل

حين تأتي الصموتة وتضربُ أعناقَ السوسن :
 من يربح؟
 من يخسر؟
 من يخطو إلى النافذة؟
 من يتلفظُ اسمها أولاً؟

ثمّة واحد، هو الذي يحمل شغري.
 يحمله مثلما يحمل المرءُ الموتى على الأيدي.
 يحمله مثلما حملت السماءُ شغري، في السنة التي فيها أحببت.
 يحمله هكذا من غرور.

الرابح
 غير الخاسر.
 الذي لا يخطو إلى النافذة.
 الذي لا يتلفظ اسمها.

ثمّة واحد، هذا الذي يملك عيني.
 يملكها مذ كانت البوابات تنغلق.
 يحملها في الإصبع كالخواتم.
 يحملها كشظايا من رغبة وياقوت :
 لقد كان أخي في الخريف،
 يعد سلفاً الأيام والليالي.

الرابح
 غير الخاسر.

الذي لا يخطو إلى النافذة.
الذي يتلفظ اسمها أخيراً.

ثمة واحد، هو الذي يملك ما قلت.
يتأبطه كحزمة تحت الإبط.
يحملة كما تحمل الساعة أسوأ ساعاتها.
يحملة من عتبة إلى عتبة، ولا يلقي به أبداً.

غير الرابع

هو الخاسر.

الذي يخطو إلى النافذة.
الذي يتلفظ اسمها أولاً.

سيضرب عنقه مع السوسن.

شعاع الليل

شعر حبيبتي المسائية يشتعل ساطعاً :
لها أرسلت التابوت من أخفّ خشب.
مُحاطّ بالأمواج كسرير أحلامنا في روما؛
يرتدي باروكة بيضاء مثلي ويتكلّم مبجوحاً :
يتكلّم مثلي، حينما أمنح القلوب دخولاً.
يعرف أغنية فرنسية عن الحب، غنيتها في الخريف،
عندما كنت مسافراً في بلاد تالية، ورسائل كتبت إلى الصباح.

زورق جميل هو التابوت، مفصل في غابة المشاعر.
أنا أيضاً سافرت بانحدار الدم معه، حينما كنت أكثر شباباً من عينك.
والآن، أنت شابة كطائر ميت في تلج آذار،
والآن يأتي إليك ويغني أغنيته الفرنسية.
أنتم خفيفون: تنامون ربيعي حتى النهاية.

أنا أخفّ:

أغني أمام غرباء.

السنواتُ منكِ إليّ

يتموجُ شعركُ ثانيةً، عندما أبكي. بزرقة عينيك
تمدّين مائدةً حبنا : سريراً بين الصيف والخريف.
نحن نشرب، ما حَمْرُه واحدٌ، لم يكن لا أنا ولا أنت ولا شخصاً ثالثاً :
نرتشف «كأساً» فارغةً وأخيرةً.

نرى بعضنا البعض في مرايا البحر العميق ونقدم لبعضنا الأطفمة سريعاً :
الليل هو الليل، يبدأ مع الصباح،
يطرحني إلى جانبك.

مدح البعد

في ينبوع عيونك
تعيش شباكُ صيادي بحيرة الضياع.
في ينبوع عيونك
يفي البحر بوعده.

أقذف هنا،

قلباً، كان بين البشر،
الأردية مني ولمعان قسم :

أكثر سواداً، أنا أكثر عرياً.
أكون مخلصاً عندما أخون فقط،
أنا أنت، عندما أكون أنا.

في ينبوع عيونك
حملتُ وأحلمُ بالسرقة.

خيطةٌ يصيدُ خيطاً :
نحن نفترق متعانقين.

في ينبوع عيونك

يخنق مشنوق الحبل.

متاخر وعميق

لاذعة كخطبة زهية تبدأ هذه الليلة.
نحن نأكلُ تفاحَ البكم.
نقوم بالعمل الذي يتركه المرء بطيبة لنجمه؛
نقفُ في حريف زيزفوناتنا كأحمر رأيات متأمل،
كضيوف مُتلهفين من الجنوب.
نُقسمُ بالمسيح الجديد أن نعقد الغبار للغبار،
الطيور للحذاء الجائل،
قلبنا سلّم في الماء.
نُقسمُ للعالم أقسامَ الرمل المقدسة،
نُقسمُها بطيبة،
نُقسمُها عالياً من سطوح النوم بلا أحلام
ونلوح بشعر الزمن الأبيض...
يصيحون: تجدفون!

ندري به من زمن.
ندري به من زمن، لكن ماذا يُغيّر؟
تطحنون بطواحين الموت طحينَ البشارة الأبيض،
تضعونه أمام إخوتنا وأخواتنا
نلوح بشعر الزمن الأبيض.

نُنذروننا: تجدفون!
ندري به جيداً،
تأتي الخطيئة علينا.
تأتي الخطيئة علينا جميعاً كإشارة منذرة -
يأتي البحرُ المغرغرُ،
هبةُ هواء الرجوع الشديدة،
اليومُ المليلُ
يأتي الذي، لم يكن أبداً!

يأتي إنسانٌ من القبر.

كورونا

من اليد يلتهمُ الخريفُ مئِي ورقته: نحن أصدقاء.
تُقشّر الزَمَنُ من الجوز ونعلّمه المشي :
يرجعُ الزمَنُ إلى القشرة.

في المرأة الأُحد،
في الحلم ينام،
الفم يتحدث صدقاً.

تهفو عيني إلى جنس المحبوبة :
ننظرُ إلى بعضنا،
نقولُ لبعضنا «أشياء» داكنة،
نتحابُ كخشخاش وذاكرة،
ننامُ مثل النبيذ في المحار،

مثل البحر في شعاع القمر الدموي.

نقفُ متعانقين عند النافذة، هم ينظرون إلينا من الشارع :
حان الوقت، لكي يعرف المرء!
حان الوقت، لكي يُزهر الحجرُ أيضاً،
لكي يخفق القلبُ للقلق.
حان الوقت، لكي يحين الوقت.
حان الوقت.

نورٌ معاكس

في السفر

هي ساعة، تجعلُ الغبارَ تابعاً لك،
بيئتك في باريس مكان تضحية ليديك

عينك السوداء كعين أكثر سواداً.

هي عذبة، حيث تقف عربة لقلبك.

شغرك يريد أن يهب، عندما تسافرين - هذا ممنوع عليه.

الذين يبقون ويلوحون، لا يعرفون هذا.

في مصر

ينبغي أن تقول لعين الغريبة : كوني الماء.

ينبغي أن تبحث في عين الغريبة، عن الذين تعرف أنهم في الماء.

ينبغي أن تناديهن من الماء : راعوث! نعمي! مريم!

ينبغي أن تزينهن، عندما ترقد جنب الغريبة.

ينبغي أن تزينهن بشعر الغريبة المتلبّد

ينبغي أن تقول لراعوث ومريم ونعمي:

أنظرن! أنا أنام عندها!

ينبغي أن تزين الغريبة بجانبك أحسن ما يكون.

ينبغي أن تزينها بالألم على راعوث، على مريم ونعمي.

ينبغي أن تقول للغريبة :

أنظري! أنا نمتُ عند هؤلاء.

في بوق الضباب

فمّ في مرآة مخفية،

إنحناءة أمّ عمود الكبرياء،

يدٌ بقضيب «سجن».

قدّموا لأنفسكم الظلام

تلفظوا اسمي

قودوني إليه!

من الأزرق، الذي ما زال يبحث عن عينه، أشربُ كأول «شارب».

من آثار قدمك أشربُ وأرى :

أنت تتدحرجين خلال الأصابع أيتها اللؤلؤة وتنمين!

تنمين مثل كل المنسيين.

تتدحرجين: حبة برد الكآبة السوداء
تسقط في مندبل، جد مبيض من تلويح الوداع.
من مثلك ومثل كل الحمام ليلاً نهاراً يغرف من الظلام،
ينقر النجم من عيوني، قبل أن يطلق الشرر،
يخلع العشب من حاجبي، قبل أن يبيض،
يقذف الباب إلى الغيوم، قبل أن أسقط.
من مثلك ومثل كل القرنفل يحتاج الدم كقطعة نقود والموت كنيبيذ،
ينفخ الزجاج لأجل كأس من يدي،
يلونه بالكلمة، التي لم أقل: أحمر،
يكسرها قطعاً بجبر الدمع البعيد.

وسم

نحن لم نغد ننام، إذ إننا استلقينا في عدة ساعة الكآبة
وحيننا العقارب كعيدان،
وهن أسرع راجعات وسطن الزمن حتى أدمي،
وأنت تتحدثين غسقاُ نائماً،
واثنتاً عشرة مرة قلت أنت، لليل كلماتك،
وانفتح الليل وبقي مفتوحاً،
ووضعت له عيناً في الحزن والأخرى ضفرتها لك في الشجر
ودسست فتيل الإشتعال بينهما، الوريد المفتوح -
وسباحة تقدم برق شاب.

من ينزع قلبه من صدره ليلاً ينوش الوردية.
له ورقنها وشوكتها،
تضع له الضوء على الصحن،
تمأل له الكؤوس بالنفس،
تحشخش له ظلال الحب.

من ينزع قلبه ليلاً من صدره ويقذفه عالياً :
لن يخطئ الهدف

يرجّمُ الحجر
 له يرنّ الدم من الساعة
 ساعة موته تزيخُ الزمن من اليد:
 يستطيع أن يلعبَ مع أجملِ كراتٍ
 ويتحدّثُ عنك وعني.

كريستال

لا تبحتي عن فمك في شفاهي
 لا تبحتي عن الغريب أمام الباب
 لا تبحتي عن الدمعة في العين.
 سبعُ ليالٍ عاتياتٍ يجولُ أحمرُ إثرِ أحمر،
 سبعةُ قلوبٍ عميقاً تضربُ اليدَ على الباب،
 سبعُ ورداتٍ متأخرةٍ يهدرُ البئرُ.

ترجمة: خالد المعالي

* باول تسيلان: ولد عام ١٩٢٠ في قرية بوكوفينا في روما. وأقام في باريس منذ عام ١٩٤٨ حتى ١٩٧٠، حيث انتحر غرقاً. يعتبر واحداً من أهم شعراء اللغة الألمانية في هذا القرن.